الفصل الأول
(تحديد المصطلحات والمفاهيم العلمية)

المقدمة

١ - التطور الاجتماعى.

٢ - الفكر الاجتماعى.

٣ - التراث الاجتماعى.

٤ - التاريخ الاجتماعى.

٥ - الفكر الاجتماعى التقليدى.

٦ - الفكر الاجتماعى المعاصر.

٧ - الاستقراء.

٨ - الاستنباط.

٩ - الأصالة.

١٠ - المعاصرة.

١١ - منهج البحث.

obeikandl.com

obeikandl.com

المقدمة:

من الجدير بالذكر أن كل بحث مهما كانت طبيعته واختصاصه لا بد أن تكون له مرحلة علمية تبدأ من اختيار موضوع البحث وتنتهى بمسألة الخلاصة والاستنتاجات وغيرها من المراحل الأساسية التى تتم وفق خطة منظمة يسير البحث العلمى على أساسها.

وقد يكون من أول الأمور التى يجب على الباحث الاهتمام بها فى بحثه مسألة تحديد المفاهيم والمصطلحات العلمية التى سوف يستخدمها الباحث ويرى أنها ضرورية وهامة فى بحثه، والمفاهيم التى يطرحها الكاتب أو العالم غالبًا ما ترتبط بعضها ببعض بأسلوب لغوى وعلمى يساعد على بناء وتكوين لفرضيات والنظريات التى يتعامل معها الباحث أو العالم فى بحثه أو دراسته لأية مشكلة أو ظاهرة طبيعية أو اجتماعية[1].

ولولا وجود المفاهيم والمصطلحات العلمية لما استطاع العلماء بناء وتكوين فرضياتهم ونظرياتهم وقوانينهم الكونية والشمولية، ولكل عالم أو باحث مفاهيمه ومصطلحاته الفنية التى من خلالها يعبر عن نتائج وقوانين فروض علمه.

وغالبًا ما يتفق العلماء والباحثون على معانى ومقاصد ومضامين المفاهيم التى يستعملونها ويتداولونها فى دراساتهم وأبحاثهم العلمية، وأحيانًا يختلفون على معانى وأفكار ومضامين هذه المصطلحات خصوصًا إذا كانوا ينحدرون من خلفيات حضارية وأيديولوجية واجتماعية مختلفة، واختلافهم هذا لا يكون على معانى المفاهيم والمصطلحات التى يطرحونها فى سياق فرضياتهم ونظرياتهم العلمية، بل يكون على أفكار وصور الفرضيات والنظريات نفسها.

والخلافات هذه لا يمكن التغلب عليها وتذليلها دون إتاحة المجال لهؤلاء العلماء على عقد الاجتماعات والحلقات الدراسية والندوات والمؤتمرات التى من خلالها يوحدون مواقفهم وأفكارهم إزاء هذه المفاهيم والفروض والنظريات التى تتخصص فيها علومهم ومواضيعهم الدراسية.

---

(1) Homans, G. The Human Group, Routledge and Kegan Paul, London, 1959. p. 10.

ومن الجدير بالإشارة أن كل بحث أو دراسة مهما كان اختصاصها أو اتجاهها تحتوى على مجموعة مصطلحات ومفاهيم علمية تتكون منها الفروض التى يريد الباحث أو العالم اختيارها وتجريبها بغية تحويلها إلى نظريات يمكن إضافتها إلى النظريات التى اكتشفها العلماء فى حقل أو اختصاص معين، وعلى الباحث فى بداية بحثه تخصيص حقل مستقل لتعريف وتحديد معانى المفاهيم العلمية التى يتداولها البحث أو الدراسة ليكون القارئ المختص أو غير المختص على بينة منها، ولكى يفهم الفرضيات والنظريات والنتائج النهائية التى تتوصل إليها الدراسة(١).

وفى حالة عدم تعريف المفاهيم الفنية فى بداية الدراسة أو البحث، فإن القارئ سوف لا يفهم الدراسة من بدايتها إلى نهايتها، ولا يستطيع استيعاب نتائجها النهائية، وبعد تحديد معانى المفاهيم المتداولة فى البحث ينبغى على الباحث تكوين الفروض العلمية التى تتضمن هذه المفاهيم(٢).

نعنى بالمفاهيم آراء أو أفكار أو مجموعة معتقدات حول شىء معين، أو أسماء تطلق على الأشياء التى هى من صنف واحد أو من الأسماء التى تطلق على الصنف نفسه(٣).

والمفاهيم ليست هى أفكار ثابتة وغير قابلة للتبدل والتحول، وإنما هى أفكار ديناميكية تتغير وتتحول تبعًا لتغير العصر وتبدل ظروفه الموضوعية والذاتية. ولهذا فإن تحديد المفاهيم والمصطلحات العلمية أمر ضرورى ويجب أن يتقدم كافة فصول الدراسة لأنها تشكل الأساس الذى يقوم عليها الباحث تمهيدًا للفصول التى سيقف عليها البحث؛ لأن هذه العملية تمكن الباحث من توضيح المساهمات الفكرية والعلمية التى

---

(١) الحسن، إحسان محمد (الدكتور)، الحسنى، عبد المنعم (الدكتور)، طرق البحث الاجتماعى، مطبعة دار الكتب والنشر، جامعة الموصل، ١٩٨١، ٧١.

(2) Parsons. T. and E. Shils. Toward A General Theory of Action, Harvard University Press, Cambridge, 1952, p. 113.

(٣) دينكن، ميشيل (البروفسور) معجم علم الاجتماع، ترجمة د. إحسان محمد الحسن، مطبعة دار الحرية، بغداد ١٩٨٠، ص ٧٥.

قدمها المفكرون الاجتماعيون العرب الأوائل والتى أوضحت لنا سبل تطور الفكر الاجتماعى العربى وتطور دراساته وأساليبه البحثية والعلمية[1].

إن هذه المفاهيم والمصطلحات العلمية تمتاز باختلافها وتعدد الآراء حول تعريفها، فنجد مفهومًا واحدًا له تعاريف متعددة من قِبَل العلماء مما يؤدى إلى اختلافه بسبب اختلاف وجهات نظرهم السياسية والاجتماعية وتجاربهم وخبراتهم الثقافية، ولهذا عند دراستنا للمفاهيم يجب علينا عدم التقيد بمفهوم واحد، وإنما نذكر عدة مفاهيم لشخصيات علمية معروفة على المستوى العربى والعالمى، وبعد ذلك نقوم بالتوفيق بين هذه المفاهيم واشتقاق مفهوم إجرائى له علاقة مباشرة بموضوع البحث أو الدراسة، ومن هذه المفاهيم هى:

١ - التطور الاجتماعى Social Evolution.

٢ - الفكر الاجتماعى Social Thought.

٣ - التراث الاجتماعى Social Heritage.

٤ - التاريخ الاجتماعى Social History.

٥ - الفكر الاجتماعى التقليدى Traditional Social Thought.

٦ - الفكر الاجتماعى المعاصر Contemporary Social Thought.

٧ - الاستقراء Induction.

٨ - الاستنباط Deduction.

٩ - الأصالة Originality.

١٠ - المعاصرة Modernization.

١١ - منهج البحث Research Methodology.

---

(1) Cohen, Paul. J. Set Theory and The Continum Hypothesis, New York, 1966, pp. 38 - 41.

obeikandl.com

١ - التطور الاجتماعى Social Evolution:

يعنى التطور الاجتماعى بأنه عملية التغير التدريجى التى تأخذ محلها فى المجتمعات وذلك بتغيير وظائف المؤسسات وتبدل أدوارها الاجتماعية الأساسية، لكن اصطلاح التطور لا يعنى بأن جميع المجتمعات تمر بنفس المراحل الحضارية والاجتماعية(١).

إن التطور الاجتماعى له تاريخ قديم ترجع جذوره التاريخية إلى الفلسفة اليونانية (أميدقلوس وأرسطو) والفلسفة العربية (إخوان الصفا وابن خلدون).

إن العالم أرسطو شاهد عمليات التغير الاجتماعى ودوَّن ذبذبات التقدم والتخلف التى تحدث فى البنية الاجتماعية للمجتمع، غير أن الدراسة العلمية لموضوع التطور الاجتماعى لم تظهر إلا فى القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلادى، فقد وضّح كل من توماس هوبز وجون لوك فى كتاباتهم الشبه الكبير بين تطور النظم الاجتماعية للمجتمعات المتوحشة وتطور النظم الاجتماعية للمجتمعات المتمدنة، وأكدا بأن التنظيم الاجتماعى للمجتمعات المتوحشة كان مماثلاً للمجتمعلت التى كان يعيش فيها أسلاف المجتمعات المتحضرة(٢).

ذكر مونتسكيو فى كتابه «روح القوانين الذى ألفه عام ١٧٤٨م بأن البيئة الجغرافية هى التى تؤثر على الشكل المثلى للمؤسسة مهما كانت طبيعة المجتمع الذى توجد فيه، أما ديفيد هيوم فيقول فى كتابه (مقال عن الطبيعة البشرية) الذى نشره عام ١٧٣٩م بأن العوامل السيكولوجية دائمًا ما تترك آثارها وانعكاساتها على العملية الاجتماعية، فالغريزة تتطور إلى شعور وانفعال والشعور والانفعال يتطوران إلى العقل الواقعى المنطقى الذى يمكن مشاهدته فى العملية الاجتماعية التى تنتاب المجتمع خلال عمليات تحوله التاريخى والحضارى.

أما العالم الفرنسى سانت سيمون فقد أوضح ثلاث مراحل عقلية تمر بها المجتمعات البشرية وهى المرحلة التخمينية والمرحلة شبه التخمينية والمرحلة الوضعية.

---

(١) دينكن، ميتشل (البروفسور) معجم علم الاجتماع، ترجمة د. إحسان محمد الحسن، ص ٢٨٤.

(٢) الجوهرى، عبد الهادى (الدكتور)، قاموس علم الاجتماع، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٨٣، ص ٦١ - ٦٣.

أما العالم أوكست كونت فقد تأثر بأفكار سيمون عندما اعتقد بأن المجتمعات البشرية لا بد من أن تمر بثلاث مراحل تطورية هى المرحلة الدينية اللاهوتية والمرحلة الفلسفية المثالية، وأخيراً المرحلة العلمية الواقعية. أما فى إنجلترا فقد أشار هربرت سبنسر إلى أن الحياة الاجتماعية تتطور من حياة بسيطة إلى حياة معقدة، ومن حياة متجانسة إلى حياة مختلفة[١]. والمجتمع يتميز بتكامل الكل واختلاف الأجزاء[٢].

ويعتقد سبنسر بأن الطبيعة تتكون من مجموعة متنوعة من الصور المستمرة، وهذه الصور بدورها تمثل عمليات الخلق والنمو والتطور والفناء التى تحدث خلال الزمن[٣].

أما العالم هنرى مين فيذكر فى كتابه (القانون القديم ١٨٦١م) بأن المجتمعات تتطور من مجتمعات تستند فيها العلاقات على المركز الاجتماعى والسلطة الأبوية الموروثة إلى مجتمعات تعتمد على الحرية والتعاقد، وأوضح بأن العائلة الأبوية هى شكل من الأشكال البدائية.

أما العالم باخوفن فى كتابه (حق الأم عام ١٨٦٦م) فقد أوضح بأن العائلة الأمية وليست العائلة الأبوية هى شكل من الأشكال البدائية للجماعة الاجتماعية.

أما دارون فى كتابه (أصل الأنواع) فقد أوضح بأن الأشكال المختلفة للحياة لها أصل مشترك تطورت عنه تدريجيًا، وأن الذى يصمد فى الصراع من أجل الحياة هو الكائنات التى تكون أكثر تكيفًا مع ظروف الحصول على الغذاء، وتجنب هجمات المنافسين[٤].

أما العالم العربى ابن خلدون فقد لمس فكرة التطور منذ زمن بعيد، حيث أشار فى مقدمته بقوله (باستحالة بعض الموجودات إلى بعض، وبأن عالم الحيوان قد اتسع وتعددت أنواعه، وتنتهى فى تدريج التكوين إلى الإنسان وصاحب الفكر

---

(1) Giddings, Socio;ogy, Alecture, New York, 1908, pp. 29 - 50.

(2) Sumner, W. G. The Forgotten Man and Other Essays New Haven, 1968, p. 401.

(٣) محمد، محمد على (الدكتور) المفكرون الاجتماعيون، قراءة معاصرة لأعمال خمسة من أعلام علم الاجتماعي الغربى، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٣، ص ٦٨.

(٤) مدكور، إبراهيم (الدكتور) معجم العلوم الاجتماعية، إعداد نخبة من الأساتذة المصريين، مطابع الهيئة العامة المصرية، القاهرة، ١٩٧٥، ص ١٥١.

والرؤية)[١]. وأوضح بأن التطور يكون بصورة أفقية أو تصاعدية[٢]، وأشار إلى أن هناك تطور دورى يوضح بأن المجتمع ينشأ بدائيًا ثم ينمو ويتقدم حتى يصل إلى قمة المجد، ثم يتقهقر ويضمحل[٣]، وقد تتيح له الظروف أن يبعث من جديد ويستمر فى تطوره إلى أن يستكمل دورته[٤].

أما الدكتور أحمد زكى بدوى فى مؤلفه (معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية) فإنه يؤكد بأن التطور الاجتماعى هو عملية نمو الثقافة وأشكال العلاقات الاجتماعية والتفاعل الاجتماعى وتشبه عمليات التطور الاجتماعى العمليات التى يمر بها التطور البيولوجى، وهى التنوع والكفاح من أجل البقاء والانتخاب الطبيعى والتكيف[٥].

أما العالم مورجان فإنه يؤكد على أن التاريخ الإنسانى يمر بمراحل متعددة تعتبر تطورًا طبيعيًا وتتابعيًا حتميًا وتحدد نوعية المخترعات التى يستعملها الإنسان للحصول على مستلزمات كافية من مأكل ومشرب وملبس وهذه هى السمات الرئيسية للمرحلة التطورية المعنية[٦].

أما العالم ستيوارد الذى يعتبر المؤسس الرئيسى لنظرية التطور المتعدد فيقول أن المدنيات المختلفة عبر التاريخ تنطوى على أنماط تطورية متوازنة تحدث فى جميع هذه المدنيات، حيث يقصد بهذه الأنماط قطاعات معينة من المجتمع تتطور بصورة متماثلة فى جميع تلك المدنيات أو الحضارات المختلفة[٧]. ولم يقبل ستيوارد أية أسباب أو مصادر انفرادية أو أحادية أو حتمية للتطور الاجتماعى[٨].

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، تحقيق د. على عبد الواحد وافى، ج١، ط٢، القاهرة ١٩٦٥، ص ٥٠٨ - ٥١٤.

(٢) وافى، عبد الواحد (الدكتور) علم الاجتماع، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٦، ص ٧٥.

(٣) وافى، على عبد الواحد (الدكتور)، عبد الرحمن بن خلدون، حياته، آثاره، القاهرة، ١٩٦٢، ص ١٢٥.

(٤) مدكور، إبراهيم (الدكتور) معجم العلوم الاجتماعية، القاهرة، ص ١٩٥.

(٥) بدوى، أحمد زكى (الدكتور) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٧٨، ص ٣٨٦.

(6) Gordon. V. Childe. Social Evalution, New York, H. Schuman, 1951 - p. 80.

(7) Honkle, R. The Development of Modern Sociology, New York, Random House, 1963, pp. 50 - 60.

(٨) جامع، محمد نبيل (الدكتور) المفتتح فى علم المجتمع، دار المطبوعات الجديدة، الإسكندرية ١٩٧٥، ص ٤١٠ - ٤١٣.

أما الدكتور شاكر مصطفى سليم فى مؤلفه قاموس الأنثروبولوجيا فإنه يوضح بأن التطور الاجتماعى هو عملية تطور تدرجى يحدث بصورة عفوية أو موجهة فى الأفكار والنظم والمعايير والتطبيقات والعلائق والفعاليات الاجتماعية السائدة فى المجتمع. ويقوم مفهوم التطور الاجتماعى على فكرة أن النظم الاجتماعية كافة تمر بمراحل معينة تنتقل من البسيطة إلى المعقدة(١).

ويذكر تيما شيف بأن التطور هو تكامل للمادة وتشتت مصاحب للحركة وتتم خلاله عملية تحول المادة من تجانس غير محدد ومفكك نسبيًا إلى تجانس متكامل ومحدد نسبيًا، مشيرًا إلى وجود استمرار نوع من العلة النهائية تفارق المعرفة(٢).

ويقول هربرت سبنسر بأن التطور هو إتمام وإكمال للمادة مصحوب بتبديد للحركة، تنتقل المادة خلاله من اللاتجانس المعين والملتحم بحيث تخضع الحركة المتبقية فيه لتبديل مواز.

فالتطور الاجتماعى هو التبدل التدريجى البطىء الذى يحدث بتأثير الظروف الخارجية وقد يكون موجهًا إلى غاية ثابتة على مراحل متعاقبة يمكن تحديدها مسبقًا، ويكون الانتقال من البسيط إلى المركب من المتجانس إلى غير المتجانس أو من الأكثر تجانسًا إلى الأقل تجانسًا(٣).

ومن خلال ما تقدم يمكننا أن نعرف التطور الاجتماعى تعريفًا إجرائيًا فهو عملية تحول يتم بموجبها مرور المجتمعات بمراحل محددة من خلال الانتقال من الصورة السبيطة إلى الصورة المعقدة، وهذه المراحل هى المراحل البدائية، والمرحلة الانتقالية، والمرحلة الوضعية أو العلمية.

وبهذا فإن التطور هو عملية تغير تدريجى كالذى يحدث فى تطور البذور إلى شجرة وتطور الطفل إلى رجل وهكذا وبشكل بطىء لا يمكن قياسه من يوم إلى آخر.

(١) سليم، شاكر مصطفى (الدكتور) قاموس الأنثروبولوجيا، مطبعة جامعة الكوت، ١٩٨١، ص ٨٩٨.

(٢) تيما شيف، نيقولا، نظرية علم الاجتماع، طبيعتها وتطورها، ترجمة د. محمود عودة وآخرون، دار المعارف، مصر، ١٩٨٢، ص ٤٦.

(٣) صليبا، جميل (الدكتور) المعجم الفلسفى، دار الكتاب اللبنانى ج١، ط١، لبنان، بيروت، ١٩٧١، ص ٢٩٣.

وقد اتسع هذا المفهوم ليشمل عملية التغير التدريجى الذى يحدث فى كل المجتمعات بحركة طبيعية تنتج تغيراً أو تؤدى إلى نوع جديد، وبمعنى أدق يدل على عملية التغير المتصلة التى يخرج من خلالها شىء جديد دون أى مساس بهوية الوحدة الأصلية وفرديتها.

٢ - الفكر الاجتماعى Social Thought:

ظاهرة عقلية تنتج عمليات التفكير القائم على الإدراك والتحليل والتعميم ويستند على التجربة(١).

يرى منهايم بأن الفكر الاجتماعى شىء منظارى، أى يفهم ويحلل من خلال منظار معين، وأن المنظار يتم من خلاله فهم الفكر الذى يساعد الإنسان على معرفة الأشياء وإدراك حقيقتها وشكلها الموضوعى وخواصها الذاتية(٢).

إن المعرفة التقليدية تعتمد على أفكار ومبادئ الطبقات الاجتماعية التى تنعكس فى الدين واللاهوت والفلسفة والمنطق والعادات والتقاليد(٣).

والفكر الاجتماعى من الناحية اللغوية يعنى إعمال الخاطر فى الشىء وهو التفكير والتأمل(٤).

والتفكير الاجتماعى هو اهتمامات الأفراد فى بعض القضايا والأمور التى تكون السبب الأساسى فى ظهور المعرفة ونموها وانتشارها(٥).

مما تقدم يمكن القول بأن الفكر الاجتماعى هو المعرفة التقليدية التى تعتمد على

---

(١) بدوى، أحمد زكى (الدكتور) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٨، ص ٤٢٥.

(2) Coser. L. A, Masters of Sociological Thought, New York, Harcourt Bracem 1977, p. 431.

(3) Mannheim, K. Ideology and Utopia, New York, Harcourt Brace, Jovanovich, 1936, pp. 242 - 245.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج٣، دار لسان العرب، بيروت، بدون سنة طبع، ص ١١٢٠.

(5) Merton, R. K. Social Theory and Social Structure, New York, The Free Press, 1951, pp. 448 - 449.

أفكار ومبادئ الطبقات الاجتماعية التى تنعكس فى الدين واللاهوت والفلسفة والمنطق والعادات والتقاليد[١].

وإن هذه المعرفة تدافع عن مصالح الجماعات المسحوقة والمغلوبة على أمرها ومصالح الجماعات المتنفذة الحاكمة، تظهر فى البيئات التى تعيش وسطها، وبهذا فإن الفكر الاجتماعى هو وليد تأملات الرجال المنبثقة من المجتمع والتى تستعمل فى حل مشكلاته وتشارك فى تطوير الكل الاجتماعى وما يتضمنه من آراء وقيم ونظم حضارية ومؤسسات بنيوية.

وإن الفكر الاجتماعى ليس نشاطًا متحررًا من الآثار الاجتماعية بل هو شىء يمكن دراسته وتفسيره بموجب إطاره ومحيطه الاجتماعى والحضارى، ومن خلال هذا فإن الفكر الاجتماعى عند المفكرين والعلماء ينبع من بيئتهم الاجتماعية ويتأصل فى موقعهم وطبقتهم والفترة الزمنية التى يعاصرونها ويساهم فى نمو تطور المجتمع من أجل بلوغ أهدافه القريبة والبعيدة[٢].

كان الإنسان ولا يزال يمعن نظره وفكره فى الطبيعة والكون المحيط به محاولاً فهم ظواهره وتفسير أحداثه.

وقد واجهت الإنسان منذ فجر التاريخ ظروف متباينة أنتجت أنساقًا فكرية بعضها ينزع إلى التأمل والبعض الآخر إلى الموضوعية[٣].

إن دراسة الفكر الاجتماعى تواجه صعوبة كبيرة فى تحديد بداياته حيث يتعذر علينا أن نحدد بداية قاطعة نقول عندها هنا قد بدأ الفكر الاجتماعى ثم تبلور فى صورة علوم اجتماعية. إن التفكير فى الظواهر الاجتماعية والإحساس بضرورة فهم هذه الظواهر ودراستها أمر كامن فى داخل الذوق العام لكل أعضاء المجتمع[٤]. ويمكن القول

---

(1) Mannheim, K. Ideology and Utopia, p. 246.

(٢) الحسن، إحسان محمد (الدكتور) رواد الفكر الاجتماعى، دراسة تحليلية فى تاريخ الفكر الاجتماعى، مطبعة دار الحكم للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٩١، ص ٣٧.

(٣) غيث، محمد عاطف (الدكتور) دراسات فى تاريخ الفكر والاتجاهات النظرية فى علم الاجتماع، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٥، ص ٩٩ - ١١٨.

(٤) محمد، محمد على (الدكتور) تاريخ علم الإجتماع، الرواد والاتجاهات المعاصرة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩، ص ١٥.

بأن البداية التى انطلق منها التفكير الاجتماعى كانت لدى المجتمعات الشرقية القديمة لأن هناك تفكيرًا اجتماعيًا قد ظهر لدى شعوب هذه المجتمعات[١]. ومع أن هذا التفكير كان أثره فى العصور الوسطى ضعيفًا تبعًا لظروف تلك العصور، ثم تدفق التفكير الاجتماعى فى ظل الحضارة الإسلامية وأصبح مضرب الأمثال، بلغ درجة كبيرة من النمو والتطور[٢]. إن التقدم الملحوظ الذى اكتملت صورته فى مجال التفكير الاجتماعى كان نتيجة لنمو الحضارة الذى أسهمت فيه كثير من المجتمعات الإنسانية عبر مراحل عديدة تمتد إلى ما قبل التاريخ[٣]. وإن الغاية الأساسية من تتبع الفكر الاجتماعى والبحث عنه هى أن تفهم المجتمع وتطوره[٤].

إن الفكر الاجتماعى هو العقائد والأفكار التى تشترك بها الجماعة البدائية وتنتقل من جيل إلى آخر وتثير عندهم عواطف الاحترام والخوف والعبادة تبعًا لظروف الحالة المحيطة بهم[٥]. يرى منهايم بأن الفكر الاجتماعى للشعوب البدائية يختلف تمام الاختلاف عن أفكارنا ومفاهيمنا لأنه متأصل بالنظرة السحرية والطلسمية للحقيقة التى يتضمنها هذا النمط من التفكير. أما البروفسور جارلس ماج فإنه يوضح الفكر الاجتماعى بأنه الطبيعة الغالبة لنمط من الأفكار التى يتبناها المجتمع أو الجماعة. لذا فالفكر الاجتماعى يعنى ذلك الجزء من الفكر المتعلق بالمؤسسات والأنشطة الاجتماعية[٦]. والفكر الاجتماعى يرتكز على الأفكار الاجتماعية الجوهرية التى يؤمن

---

(١) الخشاب، مصطفى (الدكتور) علم الاجتماع ومدارسه، ط٢، مطبعة لجنة البيان العربى، ١٩٥٦، ص ٨ - ٩.

(٢) عبد الباقى، زيدان (الدكتور) التفكير الاجتماعى، دار الفكر العربى، ط٣، القاهرة، ١٩٨١، ص ٩ - ١٥.

(٣) ديورانت دل: قصة الحضارة، ج٢، المجلد الأول، ترجمة زكى نجيب محمود، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٦، ص ٩٥ - ١٠٠.

(٤) خفاجى، حسن على (الدكتور) تاريخ الفكر الاجتماعى، ط١، مطبعة جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ١٩٧٤، ص ٧ - ١٣.

(5) Marx, K. and F. Engels. The German Idology, New York, International Publichers, 1930, pp. 160 - 165.

(٦) ماج، جارلس (البروفسور) المجتمع فى العقل، ترجمة د. حسان محمد الحسن، دار الشئون الثقافية، بغداد ١٩٩٠، ص ٩ - ١١.

بها المجتمع أو الجماعة، علمًا بأن هذا الفكر قد يمس الأفكار الاجتماعية أو الأفكار غير الاجتماعية.

إن صفات الفكر الاجتماعى تتجسد فى نقطتين أساسيتين هما:

١ - إن المجتمع ومؤسساته يمكن فهمها فى ضوء المنظار التاريخى.

٢ - إن الطريقة المستعملة فى قياس مصداقية المؤسسات هى الطريق العقلانية التى تتوافق مع معايير العقلانية الفنية التى يمكن الحصول عليها من الاستخدامات الأساسية للحياة.

إن المتتبع لتطور الفكر الاجتماعى يلاحظ أن كل مفكر أو فيلسوف كان يتأثر بالظروف المجتمعية التى عاشها من ناحية وبتجربته الشخصية من ناحية أخرى. كما يلاحظ أن الفكر الاجتماعى فى كل حقبة تاريخية كان يتخذ طريقين محدودين أولهما فكر مثالى خيالى وثانيهما فكر واقعى موضوعى، وبين هذين الطريقتين اتخذ كل مفكر اجتماعى مساره محاولاً إثبات وجهة نظره، ومؤكدًا قضاياه سواءًا بالمنطق العقلى أو بالدليل الواقعى[١]. لم يظهر الفكر الاجتماعى من خلال ثقافة واحدة أو مجتمع واحد بل من عدة ثقافات ومجتمعات عاكسًا طريقة تفكير واحدة فى فترة زمنية وبقعة جغرافية محدودة الأبعاد ونظام اجتماعى متميز، ولهذا أصبح متنوعًا ومتباينًا.

إن الفكر الاجتماعى عبر الحقب التاريخية شهد تطورات كثيرة تجسدت فى قابليته على شرح وتفسير جميع العمليات والتفاعلات الاجتماعية التى تأخذ مكانها فى المؤسسات البنيوية للمجتمع إضافة إلى نجاحه فى اعتماد المناهج البحثية التى مكنته من جمع الحقائق والمعلومات وصياغة الفرضيات والنظريات التى تعالج قضايا السلوك الإنسانى والعلاقات الاجتماعية والنظم المؤسسية، ونتيجة لهذا التطور ظهر العديد من المفكرين الاجتماعيين الذين وهبوا الشىء الكثير فى بلورة ونمو الفكر الاجتماعى حيث تركوا فى بلاد وادى الرافدين وصايا وإرشادات لا تزال حتى الآن من مقومات الحياة الاجتماعية[٢]. فقد قام حمورابى بإنشاء أول مسلة عرفها التاريخ دونت فيها الشرائع

---

(١) أحمد غريب محمد سيد (الدكتور) تاريخ الفكر الاجتماعى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩، ص ٣ - ٤.

(٢) موسكاتى، سبيتينو، الحضارات السامية القديمة، ترجمة يعقوب بكر، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٥٧، ص ٩٥ - ١٢٠.

والقوانين والحكم والوصايا التى نظمت شؤون المجتمع المختلفة[1].

أما ألوان التفكير الاجتماعى عند قدامى المصريين فتتمثل بالآثار التى تركوها، وحث الإسلام على التفكير والاجتهاد وطلب العالم، وانشغل المفكرون الأوائل فى عهد الخلفاء الراشدين بجمع القرآن الكريم وتفسيره ورواية الحديث وجمعه وتبويبه.

أما فى العصر الأموى فقد زاد الاهتمام بالدراسات والموضوعات الفقهية، وفى العصر العباسى كانت محاولات الفكر واسعة النطاق وذلك لاتساع حركة النقل والترجمة وزيادة العناية بكل روافد الثقافة. وقد عنى المفكرون الاجتماعيون بدراسة حركة الحياة الاجتماعية وحللوا عوامل لاتطور والطفرة التى أدت إلى التغير الاجتماعى السريع لم تشهده أمة أخرى فى تلك الفترة الوجيزة التى قطعتها الدولة العربية الإسلامية فى وصولها إلى قمة مدراج الحضارة. إضافة لما تقدم فقد خرج العرب بفضل الإسلام من مرحلة القبيلة والشعور القبلى إلى مرحلة الأمة الموحدة والشعور بالجماعة الواسعة النطاق ومن مرحلة الرياسة المتفرقة، إلى مرحلة الرياسة السياسية الجامعة، ومن مرحلة الشعور الفردى أو العقلى على الأكثر إلى مرحلة الشعور الجمعى، ويومئذ بدأ تفكيرهم الاجتماعى بالمعنى الصحيح وظهرت لهم نظريات لا تحصى جديرة بأن تدخل ضمن تاريخ النظريات الاجتماعية والسياسية[2].

كما استفادوا من الدين الإسلامى فى وضع نظم سياسية للتضامن الاجتماعى وكفالة الدولة للأفراد وضرورة القضاء على نظام الرق وتدعيم النظام القائم على المساواة بين الناس[3].

أما التعريف الإجرائى للفكر الاجتماعى فهو العقائد والأفكار التى يشترك فيها الأفراد ضمن الجماعة الواحدة وتنتقل من جيل إلى جيل تبعًا لتطور المكان والزمان، وتعبر عن سلوك وأهداف مصالح الفرد والمجتمع.

---

(١) غانم، عبد الله عبد الغنى (الدكتور) تاريخ التفكير الاجتماعى، المكتب الجامعى الحديث، الإسكندرية، ١٩٩٠، ص ١٩ - ٢٢.

(٢) سعفان، حسن شحاتة، تاريخ الفكر الاجتماعى، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٥، ص ٩٠ - ١٠٠.

(٣) عبد الباقى، زيدان (الدكتور) التفكير الاجتماعى، دار الفكر العربى، ط٣، القاهرة، ١٩٨١، ص ٧٩ - ٨٠.

إن الفكر الاجتماعى الحديث يتميز بأيديولوجية خاصة تختلف عن الفكر الاجتماعى فى العصور القديمة حيث إن الفكر أصبح له مدارس فكرية تمثل اتجاهات فكرية متعددة فى حين لم يحصل هذا قديمًا بل كانت أفكار المفكرين تمثل شخوصهم فقط.

٣ - التراث الاجتماعى Social Heritage:

التراث الاجتماعى مجموعة من العادات والمأثورات الشعبية والأعراف والمنجزات الثقافية التى ورثها الخلف عن السلف، فالتراث هو انتقال المال من ذمة شخص متوفى إلى ذمة شخص حى أو أكثر، يعنى ما وهبه الأسلاف أو الأجداد إلى الأحفاد أو الأبناء.

ويأتى التراث بمعنى أنه القواعد الخاصة بسلوك جماعة أو طائفة معينة والتى يتناقلها الخلف عن السلف جيلاً بعد جيل[١].

والتراث عند علماء الاجتماع يعنى النظم الثقافية والعادت والتقاليد التى انتقلت من جيل إلى جيل واستقرت فى المجتمع وتتمث بالسمات الثقافية والنظم التى ورثها المجتمع عن الأجيال السابقة، وإن انتقال هذه السمات أو النظم الثقافية والعادات والتقاليد من جيل إلى جيل عن طريق التعلم والتعليم والتمرين يسمى بالتراث.

وإن التراث الاجتماعى له دور كبير فى تطور المجتمع لأنه هو الذى يدفع المجتمع إلى التجديد والابتكار، فكل فيلسوف وكل عالم وفنان مدين فى تجديداته وإبداعاته إلى الإرث الذى يمكنه من تلك التجديدات[٢].

فالتراث الاجتماعى ظاهرة إنسانية بحتة؛ لأنه يتلخص فى ثقافة مدخرة ومتراكمة عن الأجيال المختلفة فهى تنتقل من جيل إلى جيل آخر عبر العصور والأزمنة[٣].

ولما كانت الثقافة والنظم الثقافية قاصرة على الإنسان دون الحيوان الذى يعيش على الدوافع الغريزية والسلوك الغريزى دون السلوك المكتسب، فإن الإرث الاجتماعى

---

(١) بدوى، أحمد زكى (الدكتور) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٨، ص ٤٢٨.

(٢) مدكور، إبراهيم (الدكتور) معجم العلوم الاجتماعية، القاهرة، ص ١٣٩.

(٣) سعفان، حسن (الدكتور) أسس علم الاجتماع، القاهرة، ١٩٦٦، ص ٢٧٥.

أو الثقافى قاصر على الإنسان ولكل مجتمع نظمه الخاصة به[١].

والشريعة الإسلامية توزع تركة المتوفى على أكبر عدد من أقربائه فتتوسع بذلك دائرة الانتفاع بها من جهة وتحول دون تجمع الثروات الكبيرة بيد عدد محدود من الأفراد من جهة أخرى.

أما التعريف الإجرائى للتراث الاجتماعى فهو النظم والعادات والتقاليد التى يرثها المجتمع من جيل إلى جيل ويعتبرها الناس بمثابة القوانين ويشعرون نحوها بشىء كبير من التعظيم والتقديس[٢].

وإن كلمة التراث تدل على انتقال السمة الثقافية أو نظام ثقافى أو عادة أو تقاليد من جيل إلى جيل عن طريق التعلم والتعليم والتمرين بالطريقة الاجتماعية، وإن للتراث الاجتماعى دوراً كبيراً فى تطور المجتمعات البشرية ودفعها نحو التجديد والابتكار، وتختلف الجماعات الاجتماعية من حيث إرثها الاجتماعى فبعضها ذات إرث ثقافى ضخم يرجع إلى ماضٍ سحيق، وبعضها الآخر ذات إرث خفيف غير عميق لا يكاد يرجع إلى عدة قرون.

٤ - التاريخ الاجتماعى Social History:

بسبب التطور الكبير الذى حدث فى المجتمعات الصناعية وظهور أشكال جديدة من البنيان الاجتماعى زاد الاهتمام بالتاريخ الاجتماعى لتلك المجتمعات، ومن الذين اهتموا بكتابة التاريخ الاجتماعى العالم جرين (Green) حيث ألف كتابه الموسوم (التاريخ الموجز للشعب البريطانى) عام ١٨٦٤، والعالم توينبى (Toynbee) فى مؤلفه (محاضرات عن الثورة الصناعية فى إنجلترا) سنة ١٨٨٤[٣]. ولهذا فالتاريخ الاجتماعى دراسة تطور العلاقات الاجتماعية ونمو النظم الاجتماعية والتغيرات التى تحدث فى

---

(١) وافى، على عبد الواحد (الدكتور)، حقوق الإنسان فى الإسلام، القاهرة، ١٩٦٧، ص ٢٠١.

(٢) بدوى، أحمد زكى (الدكتور) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٨، ص ٤٢١.

(3) Green, J.R. A Short History of The English People, London, 1864, pp. 250 - 251.

المفاهيم والقيم الاجتماعية، ويعتبر التاريخ الاجتماعى أشمل وأوسع من الاتجاه الذى كان سائدًا ومختصرًا على التاريخ السياسى وخاصة كل ما يتعلق بالحكومات والنظم[١].

فالتاريخ الاجتماعى إذن هو العلم الذى يدرس طبيعة العلاقات والنظم والمفاهيم والقيم الاجتماعية السائدة فى مجتمع ما وضمن فترة تاريخية محدود. إن التاريخ الاجتماعى يوضح لنا كيفية انتقال المجتمع من عصر العربات إلى عصر الذرة[٢].

ويوضح أيضًا بأن الظروف الاقتصادية والسياسية هى الأساس فى عملية هذا التطور. أما العالم فيكو فيوضح لنا بأن التاريخ الاجتماعى والاقتصادى هما رد فعل مباشر للتاريخ السياسى وعلى الخصوص تاريخ الحكومات والسياسيين الذين يتولون الحكم[٣].

والتاريخ الاجتماعى عند الماركسيين هو تاريخ حالة قوى الإنتاج فى المجتمع وأثرها فى العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والقانونية والفكرية.

والتاريخ الاجتماعى كما يعرفه الدكتور عبد الهادى الجوهرى بأنه لم يعد وصفًا للأخلاق والعادات، بل أصبح تاريخ الرجال والنساء فى علاقاتهم الاجتماعية وتجمعاتهم، ويعتمد هذا على رغبة المؤرخين وإدراكهم بأهمية الماضى فى تفسير الحاضر[٤].

أما التعريف الإجرائى للتاريخ الاجتماعى فهو العلم الذى يدرس تطور العلاقات الاجتماعية والنظم والمفاهيم والقيم الاجتماعية فى مجتمع ما وضمن فترة محدودة، ويوضح المراحل التطورية التى يمر بها المجتمع وعلاقتها بالظروف الاقتصادية والسياسية التى كانت أساسًا لذلك التطور.

---

(١) بدوى، أحمد زكى (الدكتور) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، ص ٣٨٨.

(2) Plekhanov (G. V.) The Materialist Conception of History, London, 1940, p. 223.

(٣) مدكور، إبراهيم (الدكتور) معجم العلوم الاجتماعية، تأليف نخبة من الأساتذة المصريين، ص ١١٠.

(٤) الجوهرى، عبد الهادى (الدكتور)، قاموس علم الاجتماع، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٨٣، ص ٥٥ – Traditional Social Thoudht.

٥ - الفكر الاجتماعى التقليدى Traditional Social Thought:

هناك اتجاهان للفكر الاجتماعى التقليدى، الاتجاه الذى يدرس الفكر خلال فترات القرون الوسطى، والاتجاه الآخر هو النزعة التى تدرس الفكر الاجتماعى منذ ظهور علم الاجتماع كعلم مستقل عن العلوم الاجتماعية الأخرى خلال القرن الثامن عشر ولغاية ظهور المدارس الاجتماعية المعاصرة أو الحديثة خلال النصف الأول من القرن العشرين[١].

نستطيع تعريف الفكر الاجتماعى التقليدى مهما تكن الفترة الزمنية التى هو فيها بأنه مجموعة الآراء والمفاهيم والمعتقدات والطروحات عن طبيعة المجتمع والحياة الاجتماعية وما تتضمنه هذه الحياة من ممارسات وتفاعلات وعلاقات إنسانية وعادات وتقاليد وقيم اجتماعية تحدد سلوكية الأفراد فى المجتمع وعلاقاتهم الاجتماعية.

ويتسم الفكر الاجتماعى التقليدى سواء كان سائداً إبان فترة القرون الوسطى أو خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بمجموعة خصائص يمكن تحديدها بالنقاط الآتية:

أ - كون الفكر يعبر عن طبيعة الحقائق الاجتماعية السائدة فى المجتمع خلال الفترة التى يظهر فيها، كما أن الفكر التقليدى يمزج بين الحقائق الموضوعية والأحكام القيمية والنزعات الفردية عن المفكر الاجتماعى أو الكاتب[٢].

فالمفكر الاجتماعى التقليدى لا يعكس الحقائق الاجتماعية كما هى وإنما يقيّم هذه الحقائق وفق الاتجاهات الفكرية والمبدئية التى يحملها ووفق الأهواء والنزعات الذاتية التى تطغى على فكره وخياله. فابن خلدون والغزالى والفارابى وإخوان الصفا كانوا جميعهم يمزجون بين الحقائق الاجتماعية التى درسوها عن طبيعة بناء المجتمع ومؤسساته وعلاقته بالإنسان وبين الأحكام القيمية والأهواء الذاتية التى كانوا يتميزون بها.

والشىء نفسه ينطبق على الفكر الاجتماعى التقليدى الذى ظهر بعد الثورة

---

(١) الحسن، إحسان محمد (الدكتور)، علم الاجتماع، دراسة نظامية، بغداد، مطبعة الجامعة، ١٩٧٦، ص ٣٢.

(2) Becker, H. and H. Barnes, Social Thought From Lore to Science, New York, Dover Publications, 1961, p. 261.

الصناعية فى أوروبا، فكونت الفرنسى وماكس الألمانى وميكافيللى الإيطالى كانوا يمزجون الحقائق بالقيم.

أى أن كتاباتهم الاجتماعية وتحليلاتهم للعلاقة المتفاعلة بين الإنسان والمجتمع، كانت تمزج الحقائق العلمية عن الواقع الاجتماعى بالقيم الذاتية للكاتب أو المفكر.

ب - المفكر الاجتماعى التقليدى كان فى الأعم الأغلب يعتمد على التصورات والانطباعات والمواقف والخبر والتجارب عند الكاتب أو المفكر[1]. لذا كانت الكتابات لا تتسم بالعلمية والموضوعية والعقلانية لأنها لم تستند على الدراسة التجريبية أو الدراسة الميدانية للظاهرة الاجتماعية أو العمليات التى يهتم بها المفكر أو الكاتب. لذا كانت الكتابات غير دقيقة وبعيدة عن العمق وتبيان الحقائق الأساسية التى تفسر الظاهرة بأطرها الخارجية وأساسها الجوهرى الداخلى.

جـ - لم يتطرق الفكر الاجتماعى التقليدى إلى كافة القضايا والمشكلات التى كان يتسم بها المجتمع، كما أنه لم يدرس دراسة علمية متعمقة أنظمة المجتمع الفرعية ولا الجماعات الصغيرة التى تتكون منها المنظمة أو المؤسسة الاجتماعية ودراسة كهذه لم تفهم المنظمة.

والمؤسسة فهما كاملاً لأنها كانت تدرس بناء المجتمع بما ينطوى عليه من مؤسسات، دراسة شمولية لا تتعلق بالجوهر والأساس الفكرى الذى تقوم عليه المؤسسة بقدر ما كان يتعلق بتناول القضايا السطحية والخارجية التى تمس النظام الاجتماعى.

د - كان الفكر الاجتماعى التقليدى فكراً نظريًا بحتًا يدرس ما يتعلق بأجزاء المجتمع وما يتعلق بالقيم والعادات والتقاليد والطقوس والأديان. وهذ الفكر النظرى لم يكن ذا فائدة تطبيقية. أى أن المفكر الاجتماعى التقليدى لم يطبق الفكر الاجتماعى على دراسة الواقع من أجل فهمه وتشخيص مشكلاته بغية معالجتها ووضع حلول لها تتمخض عن تنمية الواقع وتحسين ظروف الإنسان

(1) Ibid., p. 264.

والمجتمع على حد سواء. إذن كان الفكر الاجتماعى التقليدى فكرًا وطبائيًا مثاليًا لا يمكن تطبيقه على الواقع ولا يمكن الاستفادة منه فى تنمية الواقع وإزالة المشكلات التى تعتريه سواءً كانت هذه المشكلات ظاهرة أم كامنة.

هـ - كان المفكر الاجتماعى التقليدى يعتمد على مناهج كلاسيكية قديمة فى جمع وتصنيف وتنظير المعلومات الخاصة بالمجتمع والحياة الاجتماعية، وهذه المناهج الكلاسيكية التى كان يعتمد عليها المفكر الاجتماعى التقليدى هى المنهج التاريخى والمنهج المقارن ومنهج المشاهدة وربما منهج الاستقراء والاستنباط[1].

لم يكن الفكر الاجتماعى التقليدى يستخدم مناهج حديثة تساعد المفكر أو الكاتب على على جمع الحقائق وتنظيرها، والمناهج الحديثة التى يستعملها المفكرون الاجتماعيون التقليديون هى منهج المسح الميدانى والمنهج التجريبى والمنهج الإجرائى، ذلك أن هذه المناهج يستخدمها الفكر الاجتماعى المعاصر ولم يستخدمها الفكر الاجتماعى التقليدى لأنها لم تكن معروفة عند الكُتَّاب والمفكرين آنذاك.

٦ - الفكر الاجتماعى المعاصر Contemporary Social Thought:

إن بدايات الفكر الاجتماعى المعاصر ظهرت خلال العشرينيات والثلاثينيات من هذا القرن واستمرت إلى عصرنا هذا. ونعنى بالفكر الاجتماعى المعاصر مجموعة الطروحات والآراء والأفكار والمفاهيم التى تدرس البناء الاجتماعى وما ينطوى عليه من مؤسسات وأدوار وعلاقات وممارسات، ويدرس البناء الطبقى والسكانى ومشكلات المجتمع الموضوعية والذاتية وظاهرة الانتقال الاجتماعى ووسائل الضبط الاجتماعى مع القيم والعادات والتقاليد السائدة فى المجتمع فى الفترة الحاضرة. وهذا الفكر يتأتى من طبيعة واقع المجتمع المعاصر ويمكن مشاهدة الظواهر والعمليات الاجتماعية التى يعبر عنها الفكر، مشاهدة تتعلق بالظروف والمعطيات الحاضرة التى يعيشها الإنسان مهما تكن خلفيته الاجتماعية وانحداره الثقافى والمهنى ومستواه الاقتصادى والمعاشى. إذن الفكر الاجتماعى المعاصر هو الفكر الذى يدرس ظروف المجتمع ومعطياته المادية والروحية

(١) السقا، محمود، فلسفة وتاريخ النظم الاجتماعية والقانونية، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٧٨، ص ١٤٥.

دراسة علمية نابعة من طبيعة الواقع وخصوصيته والمشكلات التى يتسم بها. والفكر الاجتماعى المعاصر يختلف عن الفكر الاجتماعى التقليدى فى عدة جوانب، علمًا بأن الاختلاف بين الفكر التقليدى والمعاصر إنما يعطى الطابع المميز للفكر المعاصر، فالفكر المعاصر يتسم بالصفات الآتية:

أ - أنه فكر يفصل بين الحقائق والقيم، فالمفكر الاجتماعى المعاصر عند دراسته للواقع الاجتماعى والحياة الاجتماعية يهتم بما هو كائن ولا يهتم بما ينبغى أن يكون[1].

فهو يصف ويحلل الحقائق الاجتماعية كما هى ولا يخلط بين الحقائق الاجتماعية التى يهتم بدراستها والأحكام القيمية والأهواء والنزعات الذاتية التى تطغى عليه. ذلك أن الشخص الذى يهتم بدراسة الأحكام القيمية ويستعمل هذه الأحكام فى تقييم الأشياء ليس هو المفكر أو العالم الاجتماعى وإنما الفيلسوف أو السياسى أو رجل الدين إذ إن هؤلاء المختصين يهتمون بما ينبغى أن يكون ولا يهتمون بما هو كائن. من هذا نرى بأن الفكر الاجتماعى المعاصر يركز على دراسة الحقائق ويدرس الحقائق دراسة نابعة من طبيعتها وملابساتها والظروف المحيطة بها، ولا يهتم بالتقييم أى تقييم الظواهر والمؤسسات والأحداث التى تحدث فى المجتمع؛ لأن التقييم هو من اختصاص الفيلسوف أو رجل الدين.

ب - يركز الفكر الاجتماعى المعاصر على دراسة الجماعات الصغيرة إذ يعتقد هذا الفكر بأن النظام الاجتماعى أو المؤسسة الاجتماعية تتكون من مجموعة من الجماعات الصغيرة، ودراسة الجماعات الصغيرة إنما تساعد العالم أو المفكر على فهم المؤسسة أو النظام الاجتماعى[2].

بينما يقوم الفكر الاجتماعى التقليدى على دراسة النظام الاجتماعى أو المؤسسة دون دراسة الجماعات الصغيرة وما يوجد فيها من تفاعلات إنسانية

(1) Johnson, H. Sociology: An Introductory Analysis, London, Routledge and Kegan Paul, 1961, p. 2.

(2) Ibid., p.7.

وممارسات سلوكية وأهداف غائية وأفكار وأيديولوجيات تحدد الممارسات والعلاقات وتضعها فى قالب معين.

جـ - الفكر الاجتماعى المعاصر فكر نظرى وتطبيقى فى آن واحد[1]. فالمفكر أو العالم الاجتماعى المعاصر يدرس النظرية الاجتماعية ليس كغاية بحد ذاتها وإنما كواسطة لمعالجة مشكلة معينة يعانى منها المجتمع أو فهم ظاهرة اجتماعية معينة تلازم المجتمع وجماعاته. إذن الفكر الاجتماعى المعاصر هو فكر نظرى وتطبيقى فى آن واحد. ذلك أن مناهجه العلمية تجمع الحقائق وتصنفها وتنظرها لكى تكون قادرة على تفسير الظواهر والعمليات الاجتماعية تفسيراً علمياً منطقياً، وحل المشكلات الموضوعية والذاتية التى تلازم الأفراد والجماعات فى الحياة - اليومية والتفصيلية.

د - من أهم المناهج التى يعتمد عليها الفكر الاجتماعى المعاصر فى جمع المعلومات وتنظيرها منهج المسح الميدانى والمنهج التجريبى والمنهج الإجرائى، وقد استعمل علماء الاجتماع المعاصرون أمثال روبرت ميرتن وجون ركس ومورس كينزبيرك وجورج هومنز وبيتربلاو ويوجين شنايدر وهربرت بلومر وبتريم سوروكن وتالكت سارسنز وغيرهم، المناهج الحديثة فى علم الاجتماع والفكر الاجتماعى عند دراستهم للظواهر الإنسانية التى تخصصوا فيها. ذلك أن روبرت ميرتن درس البروقراطية دراسة علمية مبيناً فوائدها وأضرارها ودورها فى إدارة المؤسسات، وعند دراسته للبيروقراطية استخدم المنهج التجريبى فى اشتقاق الحقائق والبيانات وتنظيرها. فى حين استخدم جورج هومنز المنهج الإجرائى عند دراسته للجماعات الصغيرة من حيث بنائها ووظائفها وعلاقاتها الداخلية وأفكارها ونُظم السيطرة والضبط فيها. بينما مورس كينز بيرك استخدم منهج المسح الميدانى عندما درس نظم العلاقات الإنسانية فى المؤسسات الاجتماعية، وعندما درس العلاقة المتفاعلة بين النظام الاقتصادى والبناء الطبقى[2].

---

(1) Ibid., pp. 2-3.

(2) Ginsberg, M. Sociolgy, Londn, Oxford University Press, 1950, p. 159.

هـ - الفكر الاجتماعى المعاصر الفكر تراكمى، أى أن الآراء والمفاهيم والمعتقدات والطروحات التى يهتم بها الفكر ليست موضوعة فى قوالب جامدة وليست ثابتة من ناحية مجالها وسعتها وشموليتها، وإنما قابلة للزيادة والتراكم والنمو والديناميكية نتيجة لزيادة الأبحاث والدراسات العلمية التى يجريها العلماء المتخصصون فى حقول المعرفة الاجتماعية والنظرية الاجتماعية المعاصرة. يهتم الفكر المعاصر بدراسة الآراء والمفاهيم والطروحات والنظريات التى تفسر وتحلل حقيقة الوجود الاجتماعى وما ينطوى عليه من ظواهر وعمليات وتفاعلات تقع بين الأفراد والجماعات والمجتمعات[1].

إن الفكر الاجتماعى المعاصر يحاول وصف وتحليل مسيرة المجتمعات وانعوامل الموضوعية والذاتية المؤثرة فيها ويهتم بدراسة البنية الاجتماعيةً وتحليلها إلى عناصرها الأولية تحليلاً وظيفيًا علميًا، يوضح طبيعة العلاقة الجدلية بين الفرد والجماعة والمجتمع. إضافة إلى دراسة أنماط العلاقات الاجتماعية والسلوك الاجتماعى وحرصه على توطيد العلاقات بين الأفراد وتحويل السلوك من سلوك غريزى انفعالى إلى سلوك عقلانى ومثالى. وأخيراً يعالج الفكر الاجتماعى المعاصر قضايا المورفولوجية الاجتماعية والحضارية (العلاقة بين البيئة والمناخ والعادات والتقاليد الاجتماعية) وتصنيف المجتمعات بناءً على عامل أو متغير معين وأثر القيم المثالية فى التربية والسلوك.

من الطبيعى أن الفكر الاجتماعى يستنبط من طبيعة وملابسات وتناقضات الواقع الاجتماعى، ومن خصوصية المرحلة الحضارية التاريخية التى يمر بها المجتمع، ومن الشخصية النموذجية الممثلة للمجتمع. ومن أدبيات الفكر الاجتماعى المعاصر هذه الأدبيات التى تكون بشكل أبحاث وداسات ومؤلفات وموسوعات ومجلات علمية. وإن هذا الفكر هو حصيلة ظروف ومعطيات ومشكلات ومعاناة المجتمع غالبًا ما يستعمل فى وصف وتحليل حقيقة الوجود الاجتماعى وتترجم نظرياته وقوانينه إلى صيغ وممارسات عملية تسهم فى تطوير الإنسان والمجتمع نحو الأحسن والأفضل، غير أن مهمة وصف وتحليل حقيقة الوجود الاجتماعى إنما هى مهمة يتولاها العالم الاجتماعى. أما مهمة

(1) Allyh, C. Sociology, Prentice - Hall, Engle Wood Cliffs, New Jersy, 1972, p. 3.

ترجمة نتائج الدراسات الاجتماعية إلى واقع عمل محسوس فهى مهمة يتولاها عدد من الاختصاصيين كالعالم الاجتماعى التطبيقى والسياسى والمشرّع لقانونى والإدارى[١].

إن أصالة الفكر الاجتماعى المعاصر يمكن أن تتحقق بعد قيام العالم أو المفكر بدراسة طبيعة ومعطيات وخصوصية المجتمع دراسة واقعية بعيدة عن الذاتية والتعصب ومتحررة من التبعية الفكرية والمحاكاة النظرية والمنهجية.

٧ - الاستقراء Induction:

اهتم المفكرون والعلماء العرب بأمور البحث عن المعرفة وبذلوا قصارى جهودهم فى التنقيب عن الحقائق الطبيعية والاجتماعية وما تنطوى عليها من ظواهر وعمليات وتفاعلات لها أصولها وطرق تحولها واتجاهاتها الظاهرة والكامنة[٢]. ومستلزمات البحث عن المعرفة خصوصًا المعرفة النظرية دفعتهم إلى اعتماد مناهج دراسية تتميز بالموضوعية والعلمية. ولعل أهم هذه المناهج هو منهج الاستقراء.

فالاستقراء عند العرب هو طريقة بحثية تقوم على استنتاج الحقائق والمعلومات من الأدلة والبراهين والحجج العلمية المتيسرة عند الباحث، كأن يستنتج وقوع ظاهرة اجتماعية معينة كالتحضر مثلاً من دراسته للظروف العامة التى يشهدها المجتمع كزيادة السكان والاحتكاك الحضارى بالمجتمعات الراقية وانتشار العلم والمعرفة والتنمية الاقتصادية... إلخ.

أو قد يستنتج العالم المرحلة الحضارية التاريخية التى يمر بها المجتمع من دراسته للمراحل التاريخية الماضية والحاضرة.

إن المعرفة العلمية عند العرب تعتمد أساسًا على الاستقراء، ذلك أن النتائج التى يصل إليها المفكر عن طريق الاستنباط والقياس المنطقى لا تصدق ولا يمكن أخذها بعين الاعتبار إلا إذا قامت على مقدمات صادقة وثابتة وموضوعية[٢].

---

(1) Kulesar, Kalman. Social Planning, Society and Politics, Budapest, The Academy Press, 1975, p. 14.

(2) Hasan, Zeki, M., The Principles of Scientific Approach, Viesed by Popper, Almuallim - Aljadid No. 4, 1985, p. 18.

(٣) الحسن، إحسان محمد (الدكتور) الأسس العلمية لمناهج البحث الاجتماعى، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٦، ص ١٢.

وعليه فقد ابتكر العقل العربى إبان فترة القرون الوسطى التفكير فى البحث عن المعرفة. ففى الوقت الذى يعتمد فيه الاستنباط على قضايا وبديهيات ومسلمات وقرائح ليخرج منها بنتائج، يعتمد الاستقراء كما يوضح ابن خلدون فى كتابه المقدمة جميع الأدلة والبراهين التى تساعد على إصدار تعميمات محتملة الصدق والثبات، تعميمات يدرس الباحث أجزائها، ومن ثم يصل إلى النتائج النهائية المتعلقة بالموضوع المراد بحثه[1].

وإذ استطاع الباحث أن يصل إلى نتيجة عن طريق الاستقراء فمن الممكن أن يستخدمها كحجة علمية فى استدلال استنباطى. وهذا يدل على أن البحث العلمى عند العرب يعتمد على الاستقراء ويعتمد على الاستنباط أيضًا، فكل جانب يعزز نتائج الجانب الآخر ويدعم صحتها وعلميتها[2].

لقد اعتمد المفكرون الاجتماعيون العرب على الاستقراء فى دراساتهم وبحوثهم العلمية، وبهذا فإن الاستقراء العربى يقوم على عدة اعتبارات أهمها ما يلى:

أ - استنتاج الحقائق العلمية الجديدة من فرضيات وأدلة وبراهين معروفة.

ب - دراسة العلاقة السببية بين عاملين متلازمين، العامل الأول هو العامل المستقل والعامل الثانى هو العامل المعتمد أو الثانوى.

جـ - استقراء مرحلة مستقبلية سيمر بها المجتمع أو النظام الاجتماعى الفرعى من دراسة المراحل الماضية والحاضرة التى يشهدها المجتمع أو النظام.

وفى السياق اعتماد المنهج الاستقرائى من قِبَل المفكرين والفلاسفة العرب. يقول ابن خلدون بعد الانتهاء من جمع المادة المتعلقة بالظاهرة موضوعة البحث عن طريق المشاهدة المباشرة والدراسة لمختلف الفترات التاريخية والمقارنة يمكن استخدام الاستقراء والتعليل والتحليل للوصول إلى القوانين العامة التى تحكم الظواهر المختلفة. وفى هذا السياق يضيف ابن خلدون قائلاً ينبغى أن يعمل الباحث على توضيح ما بين الظواهر والحوادث سببى؛ لأن الظواهر ترتبط بعضها بالبعض ارتباط العلة بالمعلول.

---

(١) ابن خلدون، ، الكتاب الأول، المقدمة، دار القلم، بيروت، ١٩٧٨، ص ٤١ - ٤٤.

(2) Magee, B. Popper, Fontana, Colline, William Collins and Sonsco, itd, Glasgow, 1975, pp. 150 - 170.

أما ابن طفيل فيؤكد في رسالته الموسومة (حى بن يقظان) على مبدأ السببية الذى ينص على وجوب محدث لكل حادث[١].

ويتفق الغزالى مع كل من ابن خلدون وابن طفيل عندما يدرس العلاقة المنطقية بين العامل المسبب للظاهرة المستنبطة من العامل الفاعل، فالغزالى يعتقد بأن التربية أساس السلوك، وأن السلوك يمكن تغييره عن طريق التربية والتهذيب، تلك العملية التى يضطلع بها المعلم أو رجل الدين.

كما يرى الغزالى أن الفكرة الإنسانية قابلة لكل شىء وأنه ليس مثل التربية أى لون من القيم الأخلاقية، فالخير يصيب الإنسان من خلال التربية التى يتلقاها، والشر يمسه إذا كانت تربيته ناقصة أو مضللة وليس للإنسان بالفطرة ميل خاص لا للخير ولا للشر[٢].

أما الماوردى فيدرس العلاقة العضوية بين السبب والنتيجة كدراسته للعلاقة بين العقل والسلوك. ويشير الماوردى فى كتابه (أدب الدنيا والدين) إلى تأثير العقل فى سلوك الفرد ودوره فى التأثيرات غير العقلية حيث يقول: (اعلم أن لكل فضيلة أساسًا ولكل أدب ينبوعًا وأسس الفضائل وينبوع الآداب هو العقل الذى جعله الله تعالى للدين أصلاً وللدنيا عمادًا فأوجب التكليف بكماله وجعل الدنيا مدبرة بأحكامه وألف به بين خلقه مع اختلاف هممهم ومآربهم وتباين أغراضهم ومقاصدهم[٣].

إن محور نظرية ابن خلدون يتمركز حول توضيح أثر البيئة الطبيعية والمناخية فى قيام الحضارة وأثر الأخيرة فى طبيعة النظم الاجتماعية، وسلوكية وأخلاقية الناس على اختلاف أوطانهم وأممهم.

أما نظرية ابن خلدون عن التحول الاجتماعى فتعتمد على منهجه الاستقرائى أكثر من أى منهج آخر استعمله فى دراساته التاريخية والاجتماعية.

---

(١) سعد، على (الدكتور)، ابن طفيل فى ميزان العلم، مجلة المعارف اللبنانية، كانون الثانى، ١٩٦٢، ص ٣٥.

(٢) الرفاعى، أحمد فريد، الغزالى، الجزء الأول، القاهرة، ١٩٥٤، ص ٢٩٤.

(٣) الماوردى، أبو الحسن، أدب الدنيا والدين، دار إحياء التراث العربى، بيروت، ١٩٧٩، ص ٢٧٥.

إن هذه النظرية قد فهمها الكثير من الناس على أنها تطبيق لقوانين البيولوجيا على العمليات التاريخية من حيث النشوء والارتقاء والفناء بالنسبة للدولة ونظمها ولكن البعد الجيد لتفسير وجهة نظر ابن خلدون يكمن فى نظره إلى أن المجتمع يحمل فى طياته عوامل هدمه، فهو ينشأ بدويًا غايته تأمين ما ضرورى للحياة، ولكنه لا يلبث أن ينتقل إلى مرحلة أعلى بفعل ما ينشأ فيه من ميل دائم إلى التحسين، وانتقاله هذا يولد تناقضات جديدة تؤدى بالنهاية إلى انحلال المجتمع وسقوط الدولة[١].

ويقول الخوارزمى بأن الاستقراء هو تعريف الشىء الكلى بجميع أشخاصه، أما ابن سينا فيقول بأن الاستقراء هو الحكم على كلى لوجود ذلك الحكم فى جزئيات ذلك الكل.

أما الاستقراء العلمى فهو الذى ينتقل من الظواهر إلى القانون أى من الحكم على الحقائق المشاهدة فى زمان ومكان محدودين إلى الحكم على جميع الحقائق حكمًا تامًا غير محدود بزمان أو مكان[٢].

ويمكن تعريف الاستقراء تعريفًا إجرائيًا فهو افتراض مجموعة من الأفكار والمعلومات عن موضوع معين وبعض هذا الافتراض يقوم الباحث باستنتاج أفكار تعتمد على المعلومات المفترضة، وهو عملية اشتقاق العموميات من الجزئيات.

٨ - الاستنباط Deduction:

هناك عدة تعاريف علمية لمفهوم الاستنباط أهمها التعريف الذى يقول بأنه عملية اشتقاق الجزئيات من العموميات[٣].

ويمكن تعريفه بالعملية التى تحاول دراسة ظاهرة وقعت فى المجتمع دراسة تتوخى اشتقاق وتحليل العوامل الموضوعية والذاتية التى أدت إلى وقوع الظاهرة قيد الدراسة والبحث.

---

(١) الخشاب، أحمد (الدكتور)، التفكير الاجتماعى، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٣٢.

(٢) صليبا، جميل (الدكتور)، المعجم الفلسفى، دار الكتاب اللبنانى، ج١، ط١، لبنان، بيروت، ١٩٧١، ص ٧١.

(3) Frolov, 1. Dictionary of Philosophy, Progress Publishers, Moscow, 1984, p. 98.

وهناك تعريف آخر للاستنباط ينص على أنه طريقة اشتقاق الجزء من الكل، ذلك أن الكل يتكون من مجموعة الأجزاء، فالباحث يحاول أن يحدد ماهية ذلك الكل وإذا ما حدده فإنه يستطيع أن يستقى منه الأجزاء الفرعية أو العناصر الأساسية التى يتكون منها الكل[1].

مما تقدم نستطيع أن نستنتج بأن الاستنباط هو الطريقة التى من خلالها يستطيع الباحث أن يربط بين ظاهرة أو حادثة تعد بمثابة الكل الذى يجلب انتباه أبناء المجتمع، وأن هذا الكل يمكن تحليله إلى عناصر بنائية تكون الظاهرة التى يروم الباحث بدراستها.

ويمكن النظر إلى الاستنباط نظرة تختلف عن المفاهيم التى حددنا من خلالها مفهوم الاستنباط وهى أن الاستنباط يمكن تعريفه بالعملية الفكرية النظامية التى يستطيع الباحث من خلالها الربط بين العمومية وبين العناصر الخصوصية التى تبنى منها العمومية[2].

فظهور الإسلام خلال القرن الثامن الميلادى، هو الظاهرة أو التجربة التى شهدها المجتمع العربى خلال تلك الفترة من الزمن، وهذه الظاهرة هى العمومية التى برزت للعيان نتيجة وجود عوامل كثيرة أدت إلى قيام هذه الظاهرة فيها: العصبية القبلية التى كانت مسيطرة على العلاقات الاجتماعية بين العرب ووجود أمراض اجتماعية كان لا بد من واجهتها لتحقيق سلامة المجتمع العربى واستقراره وتنميته، ومن هذه الأمراض الأخذ بالثأر والكراهية والمنافسة بين القبائل العربية ووأد البنات والشرك بالله سبحانه وتعالى وعبادة الأصنام وانتشار الفساد بين الناس وعدم استقامة الخلق والضياع والتداعى اللذين كانا ينتابان الأمة العربية آنذاك.

كل هذه العوامل وغيرها من العوامل الأخرى كانت السبب فى ظهور الإسلام. والإسلام قد تمخضت عنه نتائج إيجابية للأمة الإسلامية منها وحدة العرب، والقضاء على عوامل الفرقة والانقسام بينهم وتوسع الدولة العربية الإسلامية غربًا وشرقًا ورقى أخلاق الأمة وقيمها وعاداتها، ونهوض الأمة فى مضمار العلوم والآداب والفنون

---

(1) Ibid, pp. 98 - 99.

(٢) السالم، فيصل (الدكتور) ود. توفيق فرح، قاموس التحليل الاجتماعى، دار المثلث، بيروت، ١٩٨٠، ص ٥٥.

والعمارة وتقدم المجتمع العربى الإسلامى فى مجالات الحرب والقتال التى مكنت الأمة من التغلب على أعدائها وتكوين أكبر حضارة عرفتها الإنسانية[١].

ويمكننا ضرب مثال آخر لتوضيح معنى الاستنباط، وهذا المثال يتجسد بالثورة الصناعية التى وقعت فى إنجلترا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، حيث هى ظاهرة عمومية جلبت انتباه الأفراد والجماعات والمؤسسات ليس فى المجتمع الإنجليزى فحسب وإنما فى العالم أجمع.

ولكن هذه الثورة التى اعتبرناها ظاهرة عاة يمكن تحليلها إلى عناصر أساسية أدت دورها الفاعل فى حدوث الثورة الصناعية، وهذه العناصر تتجسد فى زيادة السكان الناجمة عن التكاثر السكانى[٢].

فزيادة السكان أدت إلى زيادة الطلب على السلع الصناعية والزراعية على حد سواء مما اضطر رجال الصناعة والأعمال إلى اكتشاف طرق جديدة لزيادة الإنتاج بغية مقابلة الطلب المتزايد على الحاجيات نتيجة زيادة السكان.

والعنصر الآخر لقيام الثورة الصناعية فى إنجلترا رغبة الأفراد والجماعات إلى تحسين الظروف المعيشية والاجتماعية، مما اضطر هؤلاء إلى الولوج فى مضمار الاختراعات العلمية والاكتشافات الحديثة فى ضمار صناعات الغزل والنسيج واستخراج الفحم الحجرى والحديد والنقل والمواصلات بواسطة السكك الحديدية والأنهر والقنوات. وهناك عنصر آخر إثر قيام الثورة الصناعية ذلك هو رغبة بريطانيا فى السيطرة على دول العالم فى قارات آسيا وأفريقيا وأمريكا الشمالية والجنوبية، وكانت هذه السيطرة تتمحور حول رغبة بريطانيا فى الحصول على المواد الأولية وتصنيع المواد إلى سلع جاهزة يمكن أن تصدر إلى دول العالم كافة.

وهنا تكون بريطانيا الدولة التى تستطيع رفد دول العالم بالسلع المصنعة، مما يتيح لها المجال ببسط نفوذها السياسى والعسكرى على الدول التى تتعامل معها اقتصاديًا. كما أن سيطرتها على الدول هذه يمنحها درجة عالية من الأبهة والعظمة القومية التى

(١) الجميلى، رشيد عبد الله (الدكتور)، تاريخ الدولة العربية الإسلامية، مطبعة بغداد، ط٢، ١٩٨٦، ص ٣٠٣ - ٣٠٥.

(2) Medonnell, and et al, Asurvey of English Economic History, Blackie and Son, London, 1961, p. 233.

تمكنها من المضى فى طريق الاستعمار والاستيطان والإمبريالية التى كانت بريطانيا آنذاك تفتخر بها.

وأخيراً هناك عامل ساعد على قيام الثورة الصناعية فى بريطانيا ذلك هو طبيعة التكوين الجغرافى لبريطانيا إذ هى جزيرة لا يمكن أن يحتلها المغامرون بسهولة، وإنها كانت تتمتع بدرجة عالية من الاستقرار السياسى والعسكرى، إضافة إلى تمتعها بدرجة لا بأس بها من حرية الفكر والديمقراطية. كل هذه العوامل شاركت فى ظهور الثورة الصناعية فى بريطانيا التى وصلت أوج عضمتها فى القرن التاسع عشر.

إن الاستنباط هو الطريقة التى يعتمدها العالم فى تحديد ظاهرة عامة انتابت المجتمع، ومن هذه الظاهرة يستطيع المفكر أو الباحث تحديد الأسباب والنتائج التى تمخضت عن الظاهرة، ثم الربط العلمى الجدلى العقلانى بين العام والخاص أو بين الكل والجزء، فمن العام أو الكل يستنبط الباحث أو العالم مجموعة أسباب أو عناصر يتكون منها الكل، ويستنبط فى الوقت ذاته الآثار التى يتمخض عنها الكل، أى النتائج التى تشتق من الظاهرة العمومية التى يدرسها الباحث أو المفكر.

مما ذكر أعلاه يمكن القول بأن الاستنباط هو طريقة أو منهج يستخدمه الباحث فى ربط العموميات بالخصوصيات أو ربط الكليات بالجزئيات، فمن العمومية أو الكلية يستطيع الباحث تحديد الخصوصيات أو الجزئيات سواءًا كانت هذه أسبابًا أو نتائجًا.

٩ - الأصالة Originality:

لقد تأثر علم الاجتماع العربى المعاصر بمؤثرات تراثية عربية أصيلة وبأفكار ومنطلقات نظرية ومنهجية مستقاة من الخارج، وكما أن طروحاته وموضوعاته وأطره النظرية والمنهجية والتطبيقية كانت إما تجسيد للواقع العربى وما يتسم به من مزايا متفردة وخصائص ثابتة أو تنقل نقلاً حرفيًا ما توصل إليه علماء الاجتماع فى الغرب وتحاول تطبيقه على المجتمع العربى دون النظر أو التفكير بملائمة ما يطبق من أفكار وطروحات على الواقع العربى ومرحلته الحضارية التاريخية الخاصة به[1].

(1) Al-Hassan, Hasan, The Origin and Development of Sociology in Iraq, Bulletin of The College of Arts, University of Baghdad, Vol, 26, Sept. 1982, pp. 122 - 124.

لذا تميز علم الاجتماع العربى المعاصر بصفة أساسية هى الأصالة التى يحرص عليها بعض علماء الاجتماع العرب، فالأصالة هى الصفة التى ينبغى على علماء الاجتماع العرب التمسك بها لكى يكون اختصاصهم قادراً على دراسة الواقع الاجتماعى العربى وفهم أطره الفكرية والسلوكية واستيعاب مضامينه الموضوعية والذاتية.

فالأصالة هى كل شىء أو نتاج جديد ومبتكر ويختلف كل الاختلاف عن ما هو معروف ومتداول بين الأفراد والجماعات[١].

فقد يقال: إن فكر عالم ما ونظريته ما هى إلا نظريات وفكر أصيل، أى نظريات جديدة ومبتكرة وغير معروفة عند العلماء غير أن أصالة الفكر عند العالم لا تعتمد على الفكر التراثى القديم الذى جاء به المفكرون والعلماء السابقون ولا تعتمد على الفكر المعاصر والشائع والمتداول بين العلماء فى الوقت الحاضر، وإنما تعتمد على مزاوجة والتوفيق والتوليف بين الفكرين التراثى والمعاصر، بحيث يتمكن العالم أو المفكر بعد المزاوجة والتوليف أن يأتى بفكر جديد ومبتكر يختلف كل الاختلاف عن الفكر التراثى الذى يعرفه العلماء السابقون والفكر المعاصر الذى يعرفه العلماء المحدثون[٢].

ومن الجدير بالإشارة هنا إلى أن المفكر أو العالم لا يمكن أن يكون أصيلاً بأفكاره ونظرياته وطروحاته دون إطلاعه على الأفكار والنظريات والقوانين العلمية وتمرسه بالدراسة والبحث والتخصص العلمى وإلمامه بمضامين العلم وما تنطوى عليها من تفسيرات للظواهر والعمليات والتفاعلات التى تستحق البحث والدراسة الجديه.

غير أن الأصالة لا تعتمد على الأفكار والطروحات والنظريات الماضية والحاضرة ومدى تأثر العالم أو المفكر بها، بل تعتمد أيضًا على الذاتية الداخلية للعالم وما يتسم به من عبقرية وموهبة وإلهام تجعله يأبى أن يكون خاضعًا ومنصاعًا فى تفكيره وعلمه وفنه للآخرين[٣].

لذا نلاحظ بأن الأصالة هى وليدة المزج العقلانى والمحكم بين ما هو موضوعى وما هو ذاتى.

---

(١) هيجل، جورج فردريك، فكرة الجمال، ترجمة جورج طرابيشى، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨١، ص ٣١١.

(٢) المصدر السابق، ص ٣١٢.

(٣) المصدر السابق، ص ٣١٢ - ٣١٦.

إذا أخذنا على سبيل المثال لشروط المطلوبة لأصالة الفكر الاجتماعى العربى لوجدنا بأن هذه الشروط تتجسد فى المزاوجة بين أدبيات وطروحات التراث الاجتماعى العربى التى تكمن فى العطاءات والإضافات النظرية والفكرية والعلمية التى قدمها الاجتماعيون العرب خلال الفترة الممتدة فى القرن العاشر الميلادى وحتى القرن الخامس عشر منه، وبين طبيعة ومعطيات وملابسات الواقع الاجتماعى الذى يعاصرونه.

وهنا يتطلب من المفكر أو الكاتب الاجتماعى الرجوع إلى التراث الاجتماعى العربى الذى يتجسد فى مؤلفات وأدبيات الفارابى والغزالى وابن بطوطة وابن خلدون وإخوان الصفا وابن الأزرق وغيرهم، مع الاعتماد على الفكر الاجتماعى العالمى المعاصر واقتباس ما يصلح منه من آراء ومفاهيم وطروحات ونظريات.

بعد الاستعانة بدراسات التراث الاجتماعى العربى والفكر الاجتماعى العالمى يستطيع الفكر الاجتماعى المعاصر الخروج بفرضيات ونظريات وقوانين جديدة يمكن اعتمادها فى دراسة المجتمع ومؤسساته وظواهره وعملياته الحضارية والسلوكية دراسة ميدانية تطبيقية لها أهميتها فى تنمية واقع المجتمع وتطوير وتنمية أنماط العلاقات والسلوك الاجتماعى وإزالة المشكلات الإنسانية المزمنة التى يعانى منها[1].

وعن هذا الطريق ينجح الفكر الاجتماعى فى الربط العلمى الموزون بين التراث والمعاصرة وبين القديم والجديد، هذا الربط الذى يجعل الفكر أصيلاً ومتميزًا وبعيدًا عن التقليد والاستنساخ والنقل.

من خلال ما تقدم أعلاه يمكننا أن نوضح أن علماء الاجتماع العرب المعاصرين قد تأثروا بتيارين فكريين هما التيار التراثى والتيار الأجنبى، غير أن الأصالة التى يحققها المفكر أو الكاتب الاجتماعى لا تكمن فى اقتفاء أحد التيارين الفكريين ولا فى الجمع والتوفيق والتوليف بينهما، بل تكمن باعتماد الفكر الاجتماعى التراثى عند العرب والمسلمين ومزاوجته بالفكر الاجتماعى الأجنبى مع التأكيد على قدرة الكاتب أو الباحث فى الربط بين الفكر العربى التراثى والفكر الأجنبى من جهة واستعمال الفكرين فى فهم الواقع وتحديد خصوصيته من جهة ثانية.

---

(١) الذاودى، محمود (الدكتور) وآخرون، ملاحظات حول واقع علم الاجتماع العربى المعاصر، ندوة التراث الاجتماعى العربى، الخرطوم، ٢٩ - ٣١ تموز، ١٩٨٥، ص ٤.

إن أصالة الفكر الاجتماعى العربى لا يمكن أن تتحقق دون توفر الشروط الآتية:

أ - الاعتماد على أدبيات التراث الاجتماعى العربى التى تدرس وتفهم ماضى المجتمع العربى.

ب - الانفتاح على أبيات النظريات والمناهج العالمية المعاصرة بنوعيها الشرقى والغربى واختيار ما هو نافع ومفيد منها فى دراسة المجتمع العربى.

جـ - فهم معطيات وملابسات وإشكاليات الواقع الاجتماعى العربى بمجاليه الذاتى والموضوعى.

د - مشروعية الباحث أو الكاتب أو المفكر فى الركون إلى تصوراته وخيالاته وإلهاماته وخبراته وتجاربه وممارساته الذاتية واستعمالها فى الدراسة العلمية التى يزمع القيام بها.

إن جمع الباحث لهذه الشروط واستعمالها فى دراسته الاجتماعية أو فى علمه الاجتماعى لا بد أن تحول الدراسة أو العلم إلى علم أصيل ومبتكر.

أما إذا اعتمد الباحث أو المفكر على شرط من هذه الشروط وأهمل أو قصر فى الشروط الأخرى فإن بحثه الاجتماعى أو علمه لا يمكن أن يكون أصيلاً، بل يكون مغتربًا وتابعًا ومقلدًا، وبالتالى غير قادر على فهم الواقع واستيعاب إشكالياته ومشكلاته.

لكن البحث الأصيل لا يمكن أن يجريه وينفذه إلا المتخصصون والمتمرسون فى علم الاجتماع، أى علماء الاجتماع الذين لديهم دراية وإطلاع واسع بأدبيات التراث الاجتماعى العربى والنظريات والمناهج الاجتماعية العالمية المعاصرة، والذين يدركون حقيقة الواقع الاجتماعى ويستعملون ذكاءهم وتصوراتهم فى كتاباتهم وأبحاثهم ونتاجاتهم الفكرية.

١٠ - المعاصرة Modernization:

هناك عدة تعريفات لمفهوم المعاصرة لعل أهمها أنها ظاهرة تعبر عن الجوانب الحديثة المتقدمة والمتطورة التى يعيشها المجتمع فى الفترة الحاضرة، والتى كانت نتيجة

للانتشار الحضارى أو الابتكار والفعل الداخلى الذى قام به أبناء المجتمع أو الذى يستقوه من مجتمعات خارجية ذات سمات متميزة فى التنمية والتقدم والتطوير.

والمعاصرة لا تتناول الجوانب المادية الحديثة التى يتبناها المجتمع فى حياته الحاضرة فحسب، وإنما تتضمن الجوانب الفكرية والمثالية والمعنوية التى تتعلق بحقل العقائد والقيم والمقاييس التى تحدد المسارات السلوكية والتفاعلية للأفراد والجماعات(١).

وهناك تعريف آخر للمعاصرة مفاده أنها الأجواء الحاضرة أو الحديثة التى تخيم على المجتمع وتعطيه طابعه المميز الذى يجعله يواكب مسيرة التطور الحضارى والتقدم الاجتماعى للمجتمعات المتحضرة والناهضة(٢).

وهناك تعريف آخر للمعاصرة ينص على أنها عملية احتضان كل ما هو جديد وفاعل ومتغير يمكن أن يسهم فى خلق مناخات وأجواء تعطى طابع الحداثة والعصرنة للمجتمع بحيث يطلق عليه بالمجتمع المعاصر(٣).

وأخيراً هناك تعريف آخر للمعاصرة مفاده أنها مجموعة الظروف الحديثة التى يعيشها المجتمع والتى تتميز عن الظروف السابقة بعدة صفات أهمها تبنى كل ما هو جديد ويواكب العصر ويتماشى مع التفكير المحدث للإنسان والمسيرة المتطورة للمجتمع والهدف السامى الذى يسعى الأفراد والجماعات لبلوغه(٤).

وتهدف المعاصرة بصفة أساسية إلى تحوير البيئة الاجتماعية بطريقة تؤدى إلى زيادة الإنتاجية عند الفرد والمجتمع عن طريق تهيئة السبل المادية وغير المادية التى تمكن المجتمع من تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية(٥).

---

(١) محمد، محمد على (الدكتور)، دراسات فى علم الاجتماع السياسى، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، ١٩٧٧، ص ٤٠١.

(2) Eisenstadt S. N. Readings in The Soliology of Slial Evolution and Development, Longman, London, 1970, p. 21.

(3) Ibid., p. 24.

(4) Black, L.E. The Dynamics of Modernization, Heinemann, London, 1966, p. 41.

(5) Ibid., p. 47.

وهذه التنمية تتعلق بزيادة الإنتاج والاستهلاك والاستثمار والتوفير، كما تنزع نحو القيم والممارسات الديمقراطية المتعلقة باتخاذ القرار السياسى أو غير السياسى الذى يحدد مسيرة المجتمع. يضاف إلى ذلك انتشار الثقافة والتربية والتعليم والنزوع نحو التفكير الموضوعى المتأنى من طبيعة الظروف الاقتصادية والاجتماعية التى تميز المجتمع، وزيادة ظاهرة الحراك الاجتماعى.

والمرونة الطبقية وبناء الشخصية وفق الأسس والمعايير الحديثة التى تجعلها فاعلة فى عملية التغيير الاجتماعى المخطط والهادف.

والمعاصرة بصورة عامة هى مذهب يميل إلى تفضيل كل ما هو عصرى أو مستحدث يختلف عن ما كان ماثلاً فى الزمن القديم. وتتميز المعاصرة كظاهرة اجتماعية وحضارية بثلاث جوانب هى:

أ - الإبداع والتغير والسيطرة على الظواهر وإخضاعها لصالح الإنسان باستخدام المنهج العلمى التطبيقى.

ب - التنوع فى البنى الاجتماعية وإدخال البنى التى تتلائم مع الظروف الموضوعية والذاتية للمجتمع، ومع النزعة الحديثة التى يصبو إليها.

جـ - تهيئة المهارات والكفاءات والمعارف والمعلومات التى يمكن أن يستثمرها المجتمع فى تطوير وتحديث بنيته التحتية والفوقية بحيث تتسم البنية بالحداثة والتكيف للواقع الذى يعبر عن السمة المعاصرة للمجتمع.

مما ذكر أعلاه من تعريفات لمفهوم المعاصرة نستطيع أن نشتق تعريف إجرائى للمفهوم مفاده أنها مجموعة المعطيات الحديثة المادية منها والفكرية التى تمنح المجتمع طابعًا حديثًا يحدد معالم التنمية والتطوير والتقدم؛ هذه المعالم التى تؤثر فى واقع ومسيرة المجتمع فى المنظار المحدث أو المتطور الذى يضعه العلماء والمتخصصون عند التحدث عن مفهوم المعاصرة.

١١ - منهج البحث Research Methodology:

وهو الدراسة الموضوعية التى يقوم بها الباحث فى أحد الاختصاصات الطبيعية أو الإنسانية والتى تهدف إلى معرفة واقعية ومعلومات تفصيلية عن مشكلة معينة يعانى منها

المجتمع والإنسان سواء كانت هذه المشكلة تتعلق بالجانب المادى أو الجانب الحضارى للمجتمع(١).

والدراسة الموضوعية للجوانب الطبيعية أو الاجتماعية قد تكون دراسة مختبرية تجريبية أو دراسة إجرائية أو دراسة ميدانية إحصائية أو دراسة مكتبية تعتمد على المصادر والكتب والمجلات العلمية التى يستعملها الباحث فى جمع الحقائق والمعلومات عن المشكلة المزمع دراستها ووصفها وتحليلها.

إن الدراسة الاجتماعية تعتمد على المنهج الاجتماعى الذى يعنى بمعرفة أسباب الجمود والتخلف الاجتماعى، أو معرفة أسباب الفقر والعوز المادى، أو معرفة أسباب ارتباك الماكنة الإدارية فى المجتمع، أو معرفة أسباب الانتحار، أو الطلاق، أو الجنوح الاجتماعى.

إلا أننا يجب أن نشير هنا بأن دراسة الظواهر الطبيعية والمادية كالظواهر الفيزيائية والكيميائية والبيولوجية هى أسهل بكثير من دراسة الظواهر الاجتماعية والإنسانية، خصوصًا فيما يتعلق بالطرق المنهجية للدراسة والتحليل.

فالتفاعلات بين الأجسام الجامدة والذرات والجزئيات يمكن أن تدرس دراسة مختبرية تجريبية دون أن تجلب للباحث أية مشكلات تتعلق بطرق السيطرة والتجريب والقياس ومشاهد التغيرات التى تطرأ على العوامل المعتمدة بعد تغير العامل المستقل، ثم إن أهواء ونزعات ومصالح الباحث لا تدخل فى مثل هذه الدراسة الطبيعية ولا يمكن أن تؤثر فيها بأية صورة من الصور(٢).

بينما تجابه العلوم الاجتماعية كالاقتصاد والإدارة والاجتماع والأنثروبولوجيا. . .إلخ مشاكل خطيرة فى دراستها للظواهر والتفاعلات الإنسانية التى تروم وصفها وتحليلها واستيعاب مضمونها.

ويرجع هذا إلى عدة متغيرات أهمها أن هذه العلوم تهتم بدراسة نشاطات حضارية معينة يقوم بها الإنسان، وهذه النشاطات لا تتأثر بعامل واحد أو عاملين، وإنما

(1) Abrahams M. Social Survey and Social Action, Heinemann, London, 1951, p.3.

(2) Biesaaanz, M., Introduction to Sociology, New Jersy, Prentice - Hall, 1973, p. 32.

تتأثر بعوامل كثيرة ومعقدة كالعوامل الذاتية والموضوعية والتى لا يمكن فهمها وتحليلها دون معرفة العقل الظاهرى والباطنى للإنسان ومعرفة طبيعة المجتمع والمرحلة الحضارية التى يمر بها ودرجة نضجه الحضارى والمادى،

ودراسة عوامل كهذه تدفع المختص إلى اتباع أكثر من طريقة منهجية وعلمية للوصول إلى الحقائق والبيانات الموضوعية المطلوب جمعها وتحليلها وعرضها بغية معرفة حقيقة وواقع المشكلة المطلوب دراستها ومعالجتها.

إذن يجب على الباحث استعمال أكثر من طريقة منهجية للحصول على المعلومات والحقائق المطلوب فى البحث العلمى.

واستخدام طريقة واحدة كطريقة المسح الميدانى أو طريقة المقارنة أو الطريقة التاريخية لا يمكن أن تساعد الباحث على دراسة موضوعة دراسة كاملة ومفصلة تزوده بجميع الحقائق والبيانات المطلوبة.

إن الاعتماد على طريقة بحثية واحدة وإهمال الطرق المنهجية الأخرى فى دراسة معينة لا بد أن يعرض البحث إلى أخطاء وملابسات وسلبيات تؤثر فى شرعية وصحة المعلومات والبيانات والحقائق التى يحاول الباحث كشفها وتعرية جوانبها الذاتية والموضوعية.

إن الباحث الذى يروم دراسة المشكلات الاقتصادية التى يعانى منها المجتمع النامى كمشكلة البطلة مثلاً أو مشكلة التضخم النقدى أو مشكلة تذبذب الأسعار أو مشكلة انخفاض إنتاجية العمل لا يمكن أن يستعمل فقط طريقة المسح الميدانى[1].

فهذه الطريقة تزوده بمعلومات صحيحة ومضبوطة عن واقع هذه المشكلات الاقتصادية فى الوقت الحاضر، ولكنها لا يمكن أن تزوده بمعلومات إيجابية وموضوعية عن ماضى هذه المشكلات الاقتصادية[2]، علمًا بأن هناك علاقة وثيقة وعضوية بين الحاضر والماضى، أى بين الظروف والمشكلات الحاضرة والظروف والمشكلات الماضية،

---

(1) Moser, C.A., Survey Methods in Social Inuestigation, Heinemann, London, 1967, pp. 2 - 4.

(2) Mackenzie, J. S., Outlines of Social Philosophy, London, George Allen and Unwin, 1961, pp. 12 - 15.

لذا يتوجب على الباحث الذى يرغب دراسة المشكلات الاقتصادية التى يعانى منها المجتمع النامى استعمال طريقتين منهجيتين فى مثل هذه الدراسة هى طريقة المسح الميدانى التى تزوده بالمعلومات والحقائق المطلوبة عن طبيعة الظروف والمشكلات الاقتصادية الحاضرة التى تواجهها المجتمعات النامية[١].

والطريقة التاريخية التى تمكنه من الحصول على الحقائق التاريخية المتعلقة بالأمور والمشكلات الاقتصادية التى عانت منها هذه المجتمعات خلال الفترات الزمنية الماضية.

ومن خلال ما تقدم أعلاه يمكننا القول بأن منهج البحث الاجتماعى هو منهج قوامه الاستقراء، ويتمثل فى عدة خطوات تبدأ بملاحظة الظواهر وإجراء التجارب ثم وضع الفروض التى تحدد نوع الحقائق التى ينبغى أن يبحث عنها، وتنتهى بمحاولة التحقق من صدق الفروض أو بطلانها توصلا إلى وضع قوانين عامة تربط بين الظواهر وتوجه العلاقات بينها. ومنهج البحث الاجتماعى هو أحد فروع المنطق ويبحث فى مناهج العلوم الاجتماعية المختلفة[٢].

***

(١) الحسن، إحسان محمد (الدكتور)، علم الاجتماع، دراسة نظامية، بغداد، ١٩٧٦، ص ١٣٥.

(٢) بدوى، أحمد زكى (الدكتور)، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٨، ص ٢٦٧.

obeikandl.com